مقدمة

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَأَيُّهَا الّذِينَ آمَنُواْ اتّقُواْ اللّهَ حَقّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنّ إِلاَّ وَأَنْتُمْ مّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوْا رَبَّكُمُ الَّذِيْ خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيْرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوْا اللَّهَ الَّذِيْ تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيْبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتّقُواْ اللّهَ وَقُولُواْ قَوْلاً سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠- ٧١].

أما بعد: فإن أصدق الكلام كلام الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أمَّا بعد:

فهذه محاضرة بعنوان "فضل اتباع السنة" أدرتها على العناصر التالية:

- تعريف السنة.
- أقسام السنة وأنواعها.
- ثمرات اتباع السنة وهي التالية:

١- أنها سبيل النجاة من الاختلاف .

٢- أنها سبيل الفكاك من الافتراق .

٣- أنها سبيل الهداية من الضلال .

٤- أن النسبة إليها فيها شرف النسبة إلى الرسول ﷺ.

٥- أننا باتباعها ننفك من سبل الشيطان .

٦- أننا باتباعها يرفع المسلمون عن أنفسهم سمة الذل والهوان .

٧- أن فيها تشخيص الداء والدواء .

٨- أن فيها تحصيل الشرع جميعه .

٩- أن بها يكون تمام صالح ومكارم الأخلاق .

١٠- أن بها ينجو المسلم من العذاب الأليم من النيران .

١١- أن بها ينال المسلم دخول الجنة .

١٢- أن بها يكون إحياء السنة .

ذاك هو مجمل هذه المحاضرة وإليكم البيان.

العنصر الأول في المحاضرة وهو تعريف السنة:

السنة فِي اللغة: السيرة والطريقة، تقول: فلان على سنة فلان، أي: على طريقة فلان، أي على سيرة فلان، هذا هو المعنى في اللغة .

السنة فِي الشرع : اتباع ما جاء عن الرسولﷺ من الأوامر وترك ما نَهى عنهﷺ فهي تشمل في الشرع كل ما جاء عن الرسولﷺ من أمور واجبة وأمور مستحبة، وترك الأمور الْمُحرمة وترك الأمور المكروهة، ثم بعد ذلك أصبح للسنة اصطلاح عند العلماء.

فالسنة عند المحدثين : ما أضيف للرسولﷺ من قول أو فعل أو تقرير أو صفة خِلقية أو خُلُقية.

فأما ما أضيف إلى الرسول ﷺ من قول؛ يعني حديث فيه قول للرسول ﷺ كما في حديث عمر بن الخطاب t قال سمعت رسول اللهﷺ يقول: $**إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى**# الحديث. هذه سنة قوليه.

وأمّا الفعل فهو السنة الفعلية : أن ينقل إلينا أن الرسولﷺ كان يفعل كذا وكان يترك كذا، مثل قول أنس t : $كان رسول الله يحب الدباء#. هذا أمر من فعل الرسولﷺ.

وأيضًا: من السنة الفعلية ما ورد عن الرسولﷺ من أفعال في الصلاة، أو أفعال في الزكاة، أو أفعال في الصوم، أو أفعال في الحج، هذه كلها تدخل تحت السنة الفعلية.

وأمّا التقرير فهذه السنة التقريرية : وهي أن يحدث الفعل أمام الرسول ﷺ أو في زمنه والوحي ينزل ويقر الرسولﷺ ذلك ويقر الوحي ذلك، فلا ينكر ولا يغير، فتكون بذلك تقرير شرعي للفعل، ودلالة السنة التقريرية بـمجردها على الاستحباب ضعيفة!

وأما الصفة الخُلُقية : فهي ما نقل إلينا من أخلاق النبيﷺ كيف كانت وسئلت عائشة رضي الله عنها عن خلق الرسولﷺ فقالت : $**كان خلقه القرآن**#.

وأما الصِفة الخلقية : فما ينقل لنا عن هيئتهﷺ كما يأتي في بعض الأحاديث كان رسول الله ﷺ ربعة لا بالطويل ولا بالقصير، إذا وقف بين الطوال طالهم، وكانﷺ أبيض الوجه وجهه كأنه فلقة القمر، كان رسول الله ﷺ كذا ... إلى آخر ما يذكر في صفات خلقهﷺ!

إذن السنة عند المحدثين : ما أضيف إلى الرسولﷺ من قول أو فعل أو تقرير أو صفة خلقية أو خلقية.

والسنة عند الأصوليين والفقهاء :

ما أضيف إلى الرسول ﷺ من قول أو فعل أو تقرير؛ لأن الفقيه والأصولي إنما ينظر في السنة من جهة أنها دليل شرعي وبالتالي لا يكتسب عنده سمة الدليل إلا هذه الأمور الثلاثة وهي : القول و الفعل والتقرير.

والفقهاء حينما يذكرون السنة ويريدون بها هذا المعنى ينبهون أن لهم اصطلاحًا آخر يطلقون فيه كلمة السنة بمعنى المستحب والمندوب، ويجعلونها مرتبة من مراتب الحكم الشرعي التكليفي، فيقولون: الأحكام الشرعية خمسة: الواجب، والمحرم، والمكروه، والمباح، والمستحب.

وهذا المستحب يعبرون عنه بالمندوب ويعبرون عنه بالسنة.

وشاع عند بعض الناس أن السنة هي فقط المستحب، الذي ثمرته أنه يثاب فاعله ولا يعاقب تاركه، والواقع أن هذا الاصطلاح اصطلاح حادث جرى عليه أهل الأصول وأهل الفقه في بيان مرتبة من مراتب الحكم الشرعي التكليفي لكن لا يصح لنا أن نفسر كلمة سنة إذا جاءت في حديث الرسول ﷺ أو في كلام الصحابة أو في كلام التابعين أو الأئمة الكبار بمعنى المستحب،

فالسنة عندهم أعم من ذلك: تشمل المستحب والواجب بل تشمل ما يكفر مخالفه.

ولذلك أئمة السلف والأئمة الكبار في القرون الثلاثة الفاضلة الذين ألفوا وصنفوا لهم كتب اسمها كتب السنة، تشتمل على أمور الاعتقاد والتي يكفر مخالفها، كـ "كتاب السنة" لابن أبي عاصم، و"كتاب السنة" لعبد الله بن أحمد ابن حنبل، و"كتاب السنة" للمروزي وغيرهم.

إذن ينبغي ألاَّ يهجم المرء على تفسير كلمة السنة إذا وردت في كلام الصحابة أو في كلام الأئمة التابعين أو الأئمة الكبار بأنها بمعنى المستحب فقط؛ لأن هذا اصطلاح حادث لا ينبغي أن يفسر عليه كلام أولئك القوم.

إذا اتضح هذا ننتقل إلى العنصر التالي:

ما هي أقسام السنة:

السنة عند النظر تنقسم إلى قسمين:

سنة صريحة: إضافتها إلى الرسول ﷺ صريحة وظاهرة.

يأتيك في الحديث: قال رسول الله، فعل رسول الله، كان رسول الله كذا أو حصل كذا مع رسول الله، فالإضافة إلى الرسول ﷺ تأتي صريحة، فهذه سنة صريحة.

السنة الضمنية: وهي سنة تغيب عن أذهان بعض الناس، و هي التي لا يأتي فيها صريحًا ذكر الرسول ﷺ، لكن حكمها حكم السنة المرفوعة الصريحة.

ما هي هذه السنة:

أقوال الصحابة التي لا مجال للرأي والاجتهاد فيها؛ لأنها ما دامت لا مجال للرأي والاجتهاد فيها فمن أين مصدرها ومن أين أخذوها؟ أخذوها من الرسول ﷺ.

- **قول الصحابي الذي لا مخالف له فيه** : هذا أيضًا حكمه حكم السنة المرفوعة، وبعض أهل العلم يقول: هذا إجماع سكوتي، إذ إن الصحابي حينما يقول القول ويسكت عن الإنكار الصحابة الآخرون فإن هذا دليلٌ أن قول هذا الصحابي سنة، إما أنه سنة صريحة بهذه الموافقة، أو أنه حصل على درجة الحجة بـموافقة الصحابة فصار حكمه حكم الإجماع السكوتي .

- **قول الصحابي فِي أسباب** نزول القرآن الكريم هذا أيضًا حكمه حكم السنة المرفوعة إذا كانت الصيغة التي عبر فيها عن سبب النزول صيغة صريحة، كقوله: حدث كذا فأنزل الله كذا، فإن هذا صريح في أن هذه الواقعة حصلت في زمن الرسولﷺ.

- **قول الصحابي فِي تفسير مرويه**؛ فإن الصحابي حينما سمع الحديث من الرسول ﷺ علم بالقرائن التي حفت هذا الحديث، فتفسيره لما يرويه عن الرسول ﷺ مقدم على كلام غيره؛ بل لعل الأصل فيه أن يكون هذا الفهم أو المعنى الذي فسر فيه الحديث يغلب على الظن أنه استفاده من الرسولﷺ.

هذه أنواع تندرج تحت السنة الضمنية تغيب عن أذهان بعض الناس، ولكن أهل الحديث من أكثر الناس تنبهًا لـها؛ لذلك تراهم إذا ألفوا الأجزاء الحديثية يوردون الأحاديث المرفوعة والآثار الموقوفة؛ لأنها لا تخلو من أن تتضمن الدلالة أو الإشارة إلى سنة من السنن، ولـهذا على طالب العلم أن يشمر عن ساعده للاعتناء بالوارد عن الصحابة في مسائل العلم، وهذا الجانب يقع فيه قصور من جهات:

الأولى : أن الغالب عدم الاعتناء ببيان الصحيح من الضعيف من الآثار.

الثاني : عدم تحرير قول الصحابي في المسألة.

الثالث : الـهجوم على نسبة القول إلى الصحابي قبل تحرير إن كان آخر

القولين له أو لا.

بعدما عرفنا تعريف السنة وأقسام السنة نذكر لكم الآن فضل اتباع السنة، والثمرات التي يجنيها المسلم إذا اتبع سنة الرسولﷺ.

فأقول كمقدمة لهذه الثمرات :

الحديث عن فضل اتباع السنة النبوية هو الحديث عن الإسلام بتشريعاته وحكمه البالغة وآدابه، إذ السنة هي الدين كله، قال تعالى: ﴿**وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ , 85 - كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْماً كَفَرُواْ بَعْدَ إِيْمَانِهِمْ وَشَهِدُواْ أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللَّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ , 86 - أُولَئِكَ جَزَآؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ اللَّهِ وَالْمَلائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ , 87 - خَالِدِينَ فِيهَا لاَ يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلاَ هُمْ يُنظَرُونَ - , 88 إِلاَّ الَّذِينَ تَابُوا مِن بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُواْ فَإِنّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ**﴾ [آل عمران: ٨٥- ٨٩].

فالدين هو الإسلام، والإسلام هو السنة، فالدين هو السنة، وفي هذه المحاضرة سأحاول أن ألقي الضوء على أهم ثمرات اتباع السنة والدخول فيها، جعلنا الله وإياكم من أهلها.

فأقول مستعيناً بالله :

من أهم ثمرات ونتائج اتباع السنة ما يلي.

الثمرة الأولى: أن في اتباع السنة أخذًا بالعصمة من الوقوع في الاختلاف المذموم والمبعد عن الدين

الاختلاف المذموم الذي هو سمة الضعف ولا يسلم المرء منه إلا بطاعة الله وطاعة الرسول، قال تعالى: ﴿وَأَطِيعُواْ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَلاَ تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيْحُكُمْ وَاصْبِرُوَاْ إِنّ اللّهَ مَعَ الصّابِرِينَ﴾ [الأنفال: ٤٦]. ففي اتباع السنة والأخذ بها طاعة لله ورسوله ﷺ وذلك سبيل النجاة من الاختلاف المذموم.

أخرج الترمذي في سننه في كتاب العلم، باب ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدع، وأبو داود في كتاب السنة من سننه، باب ما جاء في لزوم السنة عن العرباض بن سارية قال: $وعظنا رسول الله ﷺ يومًا بعد صلاة الغداة موعظة بليغة، ذرفت منها العيون، ووجلت منها القلوب، فقال رجل: إن هذه موعظة مودع، فماذا تعهد إلينا يا رسول الله؟ قال: **أوصيكم بتقوى الله، والسمع والطاعة، وإن عبدٌ حبشي، فإنه من يعش منكم يرى اختلافًا كثيرًا، وإياكم ومحدثات الأمور، فإنها ضلالة، فمن أدرك ذلك منكم فعليه بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، عضوا عليها بالنواجذ**#.

وفي لفظ ابن ماجه قال: فقال رسول الله ﷺ: $**قد تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك، من يعش منكم فسيرى اختلافًا كثيرًا، فعليكم ما عرفتم من سنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، عضوا عليها بالنواجذ، وعليكم بالطاعة وإن عبدًا حبشيًا، فإنما المؤمنون كالجمل الأنف حيثما قيد انقاد**#.

هذه الوصية من الرسول ﷺ من جوامع الكلم لا يخرج عنها شيء، وهي

أصل عظيم من أصول الدين، وذلك أن حياة الناس تحوطها العلاقات؛ فهي إمّا علاقة للعبد مع ربه، وإما علاقة للعبد مع مجتمعه، وإمّا علاقة مع نفسه.

وبيَّن الحديث أمر العلاقة مع الله في قولهﷺ: $**أوصيكم بتقوى اللَّه**#.

وأمر العلاقة مع المجتمع في قوله: $**والسَّمع والطَّاعة وإن عبدٌ حبشيٌّ، فإنه من يعش منكم يرى اختلافاً كثيرًا، وإيَّاكم ومحدثات الأمور فإنها ضلالة، فمن أدرك ذلك منكم فعليه بسُنَّتي وسُنَّة الخلفاءِ الرَّاشدين المهديِّين، عضُّوا عليها بالنَّواجذ**#.

وأمر العلاقة مع النفس بينه في الوصية بالتقوى والتمسك بالسنة، تدلنا هذه الوصية على فضل وثمرة من ثمرات اتباع سنة الرسولﷺ.

الحديث - حديث أبي نجيح العرباض بن سارية- فيه إخبار عن أمر سيكون، ما هو هذا الأمر؟!

أخبر أنه سيكون اختلاف كثير بين المسلمين عما كان عليه الحال في زمنه ﷺ: $**ومن يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيرًا !**#.

ما النجاة؟ ما الفكاك؟ كيف الخلاص؟

قال: $فعليكم بسنتي، وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، عضوا عليها بالنواجذ#.

إذن أول ثمرة وأول فضل لاتباع السنة أنك تعصم نفسك به على ما كان عليه الرسولﷺ وما كان عليه أصحابه، تعصم نفسك عن الاختلاف المذموم، تعصم نفسك عن الدخول في أمور الاختلاف والفرقة التي ذمها الإسلام بأن تتمسك بالسنة.

وهذا معيار من الرسولﷺ نعلمه ونلقنه للناس نقول لهم: إذا جاءكم أمر من الأمور والتبست عليكم الأمور وما عرفتم هل هذا الأمر يجوز أو لا

يجوز ؛ فانظروا هل كان عليه حال الرسول ﷺ وأصحابه؟ هذا ضابط علمنا إياه ﷺ فقال : $**ومن يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً ...**#.

وقوله في الحديث : $**فعليه بسنتي**# أي : فليلزم سنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين ، فإنهم لم يعملوا إلا بسنتي ، فالإضافة إليهم إما لعملهم بها أو لاستنباطهم واختيارهم إياها ، وقد كانت طريقتهم هي نفس طريقته ، فإنهم أشد الناس حرصًا عليها وعملاً بها في كل شيء.

وعلى كل حال كانوا يتوقون مخالفته في أصغر الأمور فضلاً عن أكبرها.

وكانوا إذا أعوزهم الدليل من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ عملوا بـما يظهر لهم من الرأي بعد الفحص والبحث والتشاور والتدبر ، وهذا الرأي منهم أولى من رأي غيرهم عند عدم الدليل .

قال أبو حاتم بن حبان – رحمه الله– : في قوله ﷺ : $**فعليكم بسنتي**# عند ذكره الاختلاف الذي يكون في أمته بيان واضح أن من واظب على السنن قال بها ولم يعرج على غيرها من الآراء من الفرق الناجية في القيامة ، جعلنا الله منهم بـمَنِّه.

ثم بوَّب في ذكر الإخبار عما يجب على المرء من لزوم سنن المصطفى ﷺ وحفظه نفسه عن كل من يأباها من أهل البدع وإن حسنوا ذلك في عينه وزينوه"اهـ[1].

FFFFF

(١) صحيح ابن حبان (١ / ١٨٠).

الثمرة الثانية : أن في اتباع السنة ولزومها
النجاة من الفرقة التي توعد أهلها بالنار

قد يصل الاختلاف إلى حد تنشأ معه الفرق والجماعات والانتماءات التي ذمها الرسولﷺ أخرج ابن ماجة عن أنس ابن مالك قال : قال رسول اللهﷺ : $**إن بني إسرائيل افترقت على إحدى وسبعين فرقة، وإن أمتي ستفترق على** اثنتين **وسبعين فرقة، كلها في النار إلا واحدة وهي الجماعة**#.

وأخرج الترمذي عن عبد الله بن عمر قالﷺ : $**ليأتين على أمتي ما أتى على بني إسرائيل حذو النعل بالنعل، وإن بني إسرائيل تفرقت على اثنتين وسبعين ملة، وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين ملة، كلهم فِي النار إلا واحدة - إلا ملة واحدة-** قالوا : من هي يا رسول الله؟ قال : **ما أنا عليه وأصحابي**#.

وعن معاوية بن أبي سفيان قال : قام فينا رسول الله ﷺ فقال : $**ألا إن من قبلكم من أهل الكتاب افترقوا على اثنتين وسبعين ملة، وإن هذه الملة ستفترق على ثلاث وسبعين ملة، ثنتان وسبعين في النار وواحدة فِي الجنة، وهي الجماعة**#[(١)].

---

(١) **حديث صحيح لغيره:** وأشار بعضهم إلى احتمال تواتره.

أخرجه أحمد في المسند (١٠٢/٤)، و أبو داود في كتاب السنة، باب شرح السنة، حديث رقم (٤٥٩٧)، والآجري في الشريعة (الطبعة المحققة) (١٣٢/١، تحت رقم ٣١). وصحح إسناده محقق جامع الأصول (٣٢/١٠)، والألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة حديث رقم (٢٠٤)، وذكر جملة من الأحاديث تشهد له. وانظر نظم المتناثر (ص٣٢- ٣٤).

فائدة : قال ابن تيمية - رحمة الله عليه- في مجموع الفتاوى (٣٤٦/٣- ٣٤٧)، في معرض كلام له على حديث الافتراق: "وأمّا تعيين هذه الفرق فقد صنف الناس فيهم =

ففي هذا الحديث بيان أن في لزوم سنته ﷺ السلامة من الفرقة المذمومة التي توعد أهلها بالنار .

هناك في الثمرة الأولى: ذكر الاختلاف وقد يحدث الاختلاف ولا يصل إلى فرقة ، فاتباعك للسنة يسلمك من الاختلاف .

هنا في الثمرة الثانية: ذكر فرق وهذا خبر من الرسول ﷺ فيه إعجاز وتصديق لنبوته ﷺ ؛ إذ الأمر حصل كما قال - عليه الصلاة والسلام- وحصلت فرق، هناك الخوارج وهناك المعتزلة وهناك المرجئة وهناك الجهمية

=

مصنفات، وذكروهم في كتب المقالات، لكن الجزم بأن هذه الفرقة الموصوفة هي إحدى الثنتين والسبعين لابد له من دليل ؛ فإن الله حرّم القول بلا علم عمومًا، وحرّم القول عليه بلا علم خصوصًا، فقال تعالى: ﴿**قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا بِاللهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ**﴾ [الأعراف:٣٣]، وقال تعالى: ﴿**يَأَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الأَرْضِ حَلاَلاً طَيِّبًا وَلاَ تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ، 169 - إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ**﴾ [البقرة:١٦٩- ١٧٠]، وقال تعالى: ﴿**وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ**﴾ [الإسراء:٣٦].

وأيضًا: فكثير من الناس يخبر عن هذه الفرق بحكم الظن والهوى، فيجعل طائفته والمنتسبة إلى متبوعه الموالية له هم أهل السنة والجماعة، ويجعل من خالفها أهل البدع، وهذا ضلال مبين. فإن أهل الحق والسنة لا يكون متبوعهم إلا رسول الله ﷺ الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى، فهو الذي يجب تصديقه في كل ما أخبر، وطاعته في كل ما أمر، وليست هذه المنزلة لغيره من الأئمة، بل كل أحد من الناس يؤخذ من قوله ويترك إلا رسول الله ﷺ ، **فمن جعل شخصًا من الأشخاص غير رسول الله ﷺ من أحبه ووافقه كان من أهل السنة والجماعة، ومن خالفه كان من أهل البدعة والفرقة** - كما يوجد ذلك في الطوائف من اتباع أئمة في الكلام في الدين وغير ذلك - كان من أهل البدع والضلال والتفرق"اهـ.

وهناك الرافضة، فرق كثيرة حصلت، أخبر الرسولﷺ أن هذه الفرق ستبلغ إلى ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة ما هي؟ هي التي تكون ما عليه أنا وأصحابي.

إذن هذا فيه تعظيم لأمر اتباع السنة أليس كذلك؟

فيه بيان لثمرة من ثمرات اتباع السنة أليس كذلك؟

نقول: بلى، فيه تعظيم لاتباع السنة وحث للمسلمين أن يتبعوا السنة، فعليهم إذا أرادوا النجاة أن يكونوا على ما كان عليه الرسولﷺ وأصحابه، فهذه ثمرة من ثمرات اتباع السنة.

ومن المهم هنا: التنبيه على أن قوله ﷺ: $**كلها فِي النار إلا واحدة**# من باب نصوص الوعيد، فالفرق المتوعدة بالنار، في قوله ﷺ: $**كلها فِي النار إلا واحدة**# هذا عذابها إن شاء الله عذبها وإن شاء غفر لها، كما قال تعالى: ﴿**إِنَّ اللّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ**﴾ [النساء:٤٨]، **مجموع الفتاوى** (٢١٧/٧- ٢١٨).

قال الآجري محمد بن الحسين (ت٣٦٠هـ) - رحمه الله- : "فالمؤمن العاقل يجتهد أن يكون من هذه الملة الناجية باتباعه لكتاب اللهTوسنن رسوله ﷺ وسنن أصحابه - رحمة الله عليهم- ، وسنن التابعين بعدهم بإحسان، وقول أئمة المسلمين ممن لا يستوحش من ذكرهم، مثل: سفيان الثوري والأوزاعي ومالك بن أنس والشافعي وأحمد بن حنبل وأبي عبيد القاسم بن سلام ومن كان على طريقهم من الشيوخ، فما أنكروه أنكرناه، وما قبلوه وقالوا به قبلناه وقلنا به، ونبذنا ما سوى ذلك"اهـ. [كتاب الأربعين حديثًا للآجري، تحقيق أخينا الفاضل بدر البدر، أضواء السلف (١٤٢٠هـ)].

الثمرة الثالثة : أن في لزوم السنة

تحصيل الهداية والسلامة من الضلال

عن أبي هريرة t قال: قال رسول الله ﷺ: $**إني قد تركت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما: كتاب الله وسنتي، ولن يتفرقا حتى** يردا **عليَّ الحوض**#[١].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما : $أن رسول الله ﷺ خطب الناس في حجة الوداع فقال: **يأيها الناس؛ إني قد تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبدًا: كتاب الله، وسنة نبيه**#[٢].

وعن كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف، عن أبيه، عن جده، قال رسول الله ﷺ: $**تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما: كتاب الله، وسنة نبيه**ﷺ#[٣].

---

(١) أخرجه الدارقطني في سننه (٤/٢٤٥)، المستدرك (علوش ١/٢٨٤، تحت رقم ٣٢٤)، والبيهقي في السنن الكبرى (١٠/١١٤)، وقال في مجمع الزوائد (٩/١٦٣): " رواه البزار وفيه صالح بن موسى الطلحي وهو ضعيف"اهـ. ولفظ الحديث عند الحاكم: "عن أبي صالح عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إني قد تركت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما كتاب الله وسنتي ولن يتفرقا حتى يردا علي الحوض".
قلت: في السند عند جميعهم صالح بن موسى، لكن أورد الحاكم والبيهقي في الموضع نفسه عن ابن عباس حديثاً جاء فيه : "يا أيها الناس إني قد تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبدا كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم"، وهو شاهد صالح. وجاء في الموطأ في كتاب الجامع باب النهي عن القول بالقدر: "عَنْ مَالِك: أَنَّهُ بَلَغَهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "تَرَكْتُ فِيكُمْ أَمْرَيْنِ لَنْ تَضِلُّوا مَا تَمَسَّكْتُمْ بِهِمَا كِتَابَ اللَّهِ وَسُنَّةَ نَبِيِّهِ". فالحديث يرتقي إن شاء الله إلى درجة الحسن لغيره.

(٢) أخرجه البيهقي. انظر ما قبله.

(٣) أخرجه ابن عبد البر في التمهيد.

وعن أبي أمامة قال: قال رسول الله ﷺ: $ما ضل قومٌ بعد هدًى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل، ثم تلا رسول الله ﷺ: ﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلاَّ جَدَلاً بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾#[١].

والكتاب والسنة قد هُدي من تـمسك بهما.

هذه الأحاديث تفيد أن في اتباع السنة النبوية سلامة من الضلال: **$تركت فيكم شيئين لن تضلوا ما تمسكتم بهما؛ كتاب الله وسنتي، ولن يتفرقا حتى يردا عليَّ الحوض#**.

إذن هذا الحديث فيه بشارة لمن اتبع سنة الرسول ﷺ وتـمسك بها وأنها ستكون داعية وهادية في عرصات يوم القيامة إلى الحوض المورود - حوض النبي ﷺ- وهذه ثـمرة عظيمة من ثـمرات التمسك والاتباع لسنة الرسول ﷺ.

قال ابن تيمية - رحمه الله- : "كان أئمة المسلمين مثل مالك وحماد بن زيد والثوري ونحوهم إنـما تكلموا بـما جاءت به الرسالة وفيه الـهدى والشفاء، فمن لم يكن له علم بطريق المسلمين يعتاض عنه بـما عند هؤلاء، وهذا سبب ظهور البدع في كل أمة، وهو خفاء سنن المرسلين فيهم، وبذلك يقع الـهلاك، ولـهذا كانوا يقولون: الاعتصام بالسنة نجاة".

قال مالك - رحمه الله- : "السنة مثل سفينة نوح من ركبها نـجا ومن تخلف عنها هلك".

وهذا حق فإن سفينة نوح إنـما ركبها من صدق المرسلين واتبعهم وأن من لم يركبها فقد كذب المرسلين، واتباع السنة هو اتباع الرسالة التي جاءت من عند الله فتابعها بـمنـزلة من ركب مع نوح السفينة باطنًا وظاهرًا، والمتخلف عن

---

(١) أخرجه ابن عبد البر أيضًا في التمهيد.

اتباع الرسالة بـمنـزلة المتخلف عن اتباع نوح u وركوب السفينة معه.

وهكذا إذا تدبر المؤمن سائر مقالات الفلاسفة وغيرهم من الأمم التي فيها ضلال وكفر وجد القرآن والسنة كاشفان لأحوالـهم، مبينان لحقهم، مميزان بين حق ذلك وباطله.

والصحابة كانوا أعلم الخلق بذلك، كما كانوا أقوم الخلق بجهاد الكفار والمنافقين، كما قال فيهم عبد الله بن مسعود: $من كان منكم مُستَنًّا فليستن بـمن قد مات فإن الحي لا تؤمن عليه الفتنة، أولئك أصحاب محمد كانوا أبر هذه الأمة قلوبًا، وأعمقها علمًا، وأقلها تكلفًا، قوم اختارهم الله لصحبة نبيه وإقامة دينه، فاعرفوا لـهم حقهم، وتـمسكوا بهديهم فإنهم كانوا على الهدى المستقيم"[1] اهـ.

---

(١) مجموع الفتاوى (٤/ ١٣٧).

الثمرة الرابعة: أن في السنة دخولاً تحت اسم النبي ﷺ وفي تركها خروج عن اسم الرسول ﷺ

الرسول - عليه الصلاة والسلام- يقول: $**من رغب عن سنتي فليس مني**#. وله قصة:

أخرج الشيخان - واللفظ للبخاري- عن أنس بن مالك t يقول: $جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي ﷺ يسألون عن عبادة النبي ﷺ فلما أُخبروا كأنهم تقالُّوها، فقالوا: أين نحن من النبي ﷺ قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر.

قال أحدهم: أما أنا فإني أصلي الليل أبدًا.

وقال آخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر.

وقال آخر: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدًا.

فجاء رسول الله ﷺ إليهم فقال: **أنتم الذين قلتم كذا وكذا، أما والله إني لأخشاكم لله، واتقاكم له، لكني أصوم، وأفطر، وأصلي، وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني**#.

وترك سنة الرسول ﷺ هو رغبة عنه، تركها بعد علمها هو رغبة عنه، والرغبة عن سنة الرسول ﷺ على درجتين: قد تكون في درجة المعصية وقد تكون في درجة الكفر - والعياذ بالله- .

إذا تركتها إعراضًا عنها وإنكارًا لها وانتقاصًا لها، فأنت انتقصت الدين، وانتقاص الدين نوع من الكفر، والإعراض عن الدين نوع من أنواع الكفر - والعياذ بالله- .

أما إذا تركت السنة تهاونًا وكسلاً لا عن اعتقاد القصور فيها واعتقاد النقص فيها ، فأنت بحسب هذه السنة التي تركتها : إن تركت واجبًا فأنت عليك إثم الواجب ، وإن تركت مستحبًّا فأنت قد فاتك فضل المستحب ، وإذا أدمنت وداومت على ترك المستحب فإن أهل العلم في المذاهب الأربعة يسقطون عدالتك ويفسقونك بترك السنة ، بـمعنى الإدمان على تركها.

من ذلك ما ورد عن الإمام أحمد بن حنبل t : أنه سئل عمن يترك صلاة الوتر – وصلاة الوتر عنده مستحبة ليست بواجبة– فقال لما سئل عمن ترك أو أدمن ترك صلاة الوتر لا يصلي الوتر، قال: ذاك رجل فاسق ترد شهادته ، وهو يترك سنة.

ولذلك نحن ننبه الناس نقول: لا تفهموا من قول العلماء إن السنة يثاب فاعلها ولا يعاقب تاركها هذا المعنى الذي تصلون به إلى التهاون بالسنة ، نقول: لا ، العلماء ما أرادوا هذا ، إنـما أرادوا بيان السنة والواجب والـمحرم والمكروه، أرادوا ما تصح به العبادة وما تفسد به العبادة ، أرادوا بيان أدنى الأحوال التي يصل بها الإنسان إلى حد العدالة عمومًا لا على الدوام ، وهم يفرقون مع قولـهم: إن السنة يثاب فاعلها ولا يعاقب تاركها ، يفرقون بين من أدمن على ترك السنن وبين من كان يتركها أحيانًا ، ولذلك الإمام أحمد بن حنبل وغيره من أئمة الحق قالوا : ما بلغنا حديث عن رسول الله ﷺ إلا عملنا به ولو مرة واحدة.

لماذا يصفون هذا ؟ لماذا يقولون هذا ؟

حتى يعدوا من أصحاب هذه السنة ، يعدوا من أصحاب هذا الحديث ، لذلك من ثـمرات العمل بالسنة وفضل العمل بالسنة أن من يعمل بها يُعَدُّ من أهلها .

الثمرة الخامسة:

أن في فضل السنة واتباعها الفكاك من سبل الشيطان

عن ابن مسعود t قال: $خط لنا رسول الله ﷺ خطًّا فقال: هذا سبيل الله، ثم خطَّ خطوطًا عن شماله وعن يمينه، ثم خطَّ خطوطًا صغيرة عن شمال هذا الخط وعن يمينه، ثم قال رسول الله ﷺ: **هذا سبيلي**، أشار إلى الخط الطويل وقال: **هذا سبيلي، وهذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه، ثم تلا: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾**#.

فمن اتبع سنة الرسول ﷺ اتبع الصراط المستقيم وسلم من سبل الشياطين، وخط الرسول ﷺ الذي صنعه ومثله بالمثال ليقربه إلى أذهان الناس فخط خطًّا وخط على جانبه خطوطًا تصويرًا لحقيقة هذه السنة، فالسنة طريق طويل ليست طريقًا قصيرًا.

ولذلك الذين يتعجلون نتائج الدعوة يتعجلون نتائج اتباع السنة وتطبيق السنة يقولون: يا أخي نحن لنا مدة على طلب الحديث، ونطبق الحديث والعمل بالسنة، ولكن ما يوجد أثر لهذا؛ المجتمعات ماتغيرت!!

فأقول لك: يا أخي؛ لا ضير في ذلك، أما ترى أن رسول الله ﷺ لما مثل لسنته وصراطه مثله صراطًا طويلاً، ولما مثل السبل الأخرى مثَّلها سبلاً قصيرة على جانبيه فلا تغتر ولا تظنن أن اتباعك لتلك السبل التي هي على خلاف السنة يوصلك إلى النتيجة! فبعض الناس قد يظن أنه بهذا الأسلوب الذي يخالف سنة الرسول يصل مباشرة إلى مقصود الدعوة!

فنقول: هذه كلها إغواءات من الشيطان، يغويك، يفتح لك الأبواب ويغرر بك، يوهمك أن هذا السبيل نتيجته سريعة طريقه قصير، أما طريق السنة يا أخي فإنه طريق طويل محفوف بالمكاره، ولكنه صراط مستقيم يؤدي بسالكه إلى الجنة، وينجو به من النيران!

هذا سبيل الرسولﷺ إن أردته ألزمه وهو طريق طويل، عليك أن تصبر وعليك أن تتابع السبيل، ولذلك كان من الوصايا العامة لجميع المؤمنين ما ذكره الله I في قوله: ﴿**وَالْعَصْرِ , 1 - إِنَّ الإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ , 2 - إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ**﴾ [سورة العصر: ١- ٣].

لابد من الصبر في أمر الدعوة!

وسبيل الرسول ﷺ في الدعوة ومنهج الأنبياء في الدعوة ليس بـمنهج سريع تستعجل فيه ثـمرته، ليس بـمنهج بين يوم وليلة بين سنة وسنتين، بل هو سبيل طويل، وصراط مستقيم، أمّا سبل الشياطين فإنها كلها قصيرة يغرر بك بقصرها فتتوهم أنها تؤدي إلى النتيجة سريعًا!

فسبيل السنة سبيل طويل عليك أن تتبعه وأن تسلكه وأن تتواصى فيه مع إخوانك بالحق، وأن تتواصى فيه مع إخوانك بالصبر.

إذن في اتباعك للسنة أمان لك وفكاك لك من سبل الشياطين.

قال ناصر الدين أحمد بن محمد - المعروف بابن المنير - (ت٦٨٣هـ) - رحمه الله- : "من الحقوق الواجبة نشرها - يعني: السنة- على الناس قاطبة يحملها الآخذ إلى الغالب، ويبلغها الشاهد إلى الغائب، وقال رسول الله ﷺ: $**نضر الله امرءً سمع مقالتي فوعاها، ثم أدَّاها كما سمعها، فرب مبلغ أوعى من سامع**# فوظيفة الحامل الجاهل في هذه الأمانة أن يؤديها إلى أهلها بالوفاء والتسليم، ووظيفة الحامل الحاذق أيضًا أن يؤديها إلى من عساه أحذق منه في

الفهم والتفهيم.

وليحذر أن يحجب عن المزيد باعتقاد أنه ذلك العظيم ؛ ففوق كل ذي علم عليم، ومهما ظن أنه ليس وراء قدره مرمى، فقد حرم بركة قوله T : ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤].

وقد كان العلماء الربانيون من هذه الأمة على ما وهبوه من القوة في غاية الجزع والهلع، يتدرعون العجز الذي يأباه اليوم لكع بن لكع، حتى كان مالك - رحمه الله- وهو الذي لا يقري أحد كما يقري، أهون ما عليه أن يقول فيما لا يدري أنه لا يدري، ويشير بها إلى الأفاضل والأماثل ويقول: جنة العالم لا أدري، فإذا أخطأها أصيبت منه المقاتل"[١] اهـ.

قال ابن تيمية - رحمه الله- : "وعامة هذه الضلالات إنما تطرق من لم يعتصم بالكتاب والسنة كما كان الزهري يقول: كان علماؤنا يقولون: الاعتصام بالسنة هو النجاة.

وقال مالك: السنة سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق؛ وذلك أن السنة والشريعة والمنهاج هو الصراط المستقيم الذي يوصل العباد إلى الله، والرسول هو الدليل الهادي الخريت في هذا الصراط كما قال تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا , 46 - وَدَاعِيًا إِلَى اللهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا﴾ [الأحزاب: ٤٦- ٤٧].

وقال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ , 53 - صِرَاطِ اللهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ أَلاَ إِلَى اللهِ تَصِيرُ الأُمُورُ﴾ [الشورى: ٥٣- ٥٤].

وقال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ

---

(١) المتواري على تراجم أبواب البخاري (ص٣٤- ٣٥).

عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

وقال عبد الله بن مسعود: $خطَّ رسول الله ﷺ خطًّا، وخطَّ خطوطًا عن يـمينه وشماله، ثم قال: **هذا سبيل الله، وهذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه**، ثم قرأ: **﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾** [الأنعام: ١٥٣].

وإذا تأمل العاقل الذي يرجو لقاء الله هذا المثال وتأمل سائر الطوائف من الخوارج ثم المعتزلة ثم الجهمية والرافضة ومن أقرب منهم إلى السنة من أهل الكلام مثل الكرامية والكلابية والأشعرية وغيرهم[١] وأن كلاًّ منهم له سبيل يخرج به عما عليه الصحابة وأهل الحديث ويدعي أن سبيله هو الصواب، وجدت أنهم المراد بهذا المثال الذي ضربه المعصوم الذي لا يتكلم عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى" [مجموع الفتاوى (٤/٥٦ - ٥٧)].

---

(١) وكذا فرق الاختلاف إلى يومنا هذا.

الثمرة السادسة:

في اتباع السنة تحصيل الشرع والدين

وذلك أن الدين معناه: ألاَّ تعبد إلا الله، ولا تعبد الله إلا بـما شرع، ولا طريق لنا في معرفة الشرع بغير القرآن العظيم والسنة النبوية، ولـهذا كانت العبادات توقيفية، ولا عجب أن عائشة ﵂: $كان خلقه القرآن#.

وسنته ﷺ شاملة لكل الدين، فهي المبينة للقرآن العظيم، قال الله - تبارك وتعالى- : ﴿**وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ**﴾ [النحل: ٤٤]. وقال تعالى: ﴿**وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلاَّ لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ**﴾ [النحل: ٦٤].

توضأ رسول الله ﷺ وقال: $**هذا وضوئي ووضوء الأنبياء من قبلي، فمن زاد أو أنقص فقد أساء وظلم**#.

وصلى رسول الله ﷺ، وهو الذي قال: $**صلوا كما رأيتموني أصلي**#.

وهو الذي قال: $**إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق**#.

وهو الذي قال: $**أفشوا السلام بينكم، وأطعموا الطعام، وصلوا بالليل والناس نيام؛ تدخلوا جنة ربكم بسلام**#.

وقال ابن تيمية - رحمه الله- : "ولـهذا قال الفقهاء: العبادات مبناها على التوقيف، كما في الصحيحين عن عمر بن الخطاب **t** : $أنه قَبَّل الحجر الأسود وقال: والله إني لأعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع، ولولا أني رأيت رسول الله ﷺ يقبِّلك لـما قبَّلتك#.

والله **I** أمرنا باتباع الرسول وطاعته وموالاته ومحبته، وأن يكون الله

ورسوله أحب إلينا مما سواهما، وضمن لنا بطاعته ومحبته محبة الله وكرامته، فقال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [آل عمران: ٣١]. وقال تعالى: ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا﴾ [النور: ٥٤]. وقال تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [النساء: ١٣].

وأمثال ذلك في القرآن كثير، ولا ينبغي لأحد أن يخرج في هذا عما وضحت به السنة، وجاءت به الشريعة، ودل عليه الكتاب والسنة، وكان عليه سلف الأمة، وما علمه قال به، وما لم يعلمه أمسك عنه، ولا يقفُ ما ليس له به علم، ولا يقول على الله ما لم يعلم؛ فإن الله - تبارك وتعالى- قد حرم ذلك كله". انتهى كلامه - رحمه الله- .

فمن ثمرا ت اتباع السنة أنك باتباعها تحصل الدين جميعه.

إن شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله تتضمن أمرين:

- ألاَّ نعبد إلا الله.
- وألاَّ نعبده إلا بـما شرع.

إن هذين الأمرين هما اللذان يقوم عليهما الدين.

أما نقول ذلك؟ إذن الاتباع: ألاَّ نعبد الله إلا بـما شرع، وتحقيق هذا الأصل لا يكون إلا باتباع الرسول ﷺ وهو معنى الجزء الثاني من الشهادة: وأشهد أن محمدًا رسول الله، فلا طريق لك إلى معرفة عبادة الله إلا عن طريق اتباع رسول الله، واتباع الرسول يكون بأخذ سنته ﷺ، ولذلك يقول الرسول ﷺ: $**من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد**#.

يعني تتقرب إلى الله بأمر، انظر هذا الأمر هل هو من الأمور التي تقرب بها الرسول - عليه الصلاة والسلام- أم لا؟ فإذا وجدتها من ذلك فهي

مقبولة - إن شاء الله- إذا توفرت شروط القبول، وإذا لم يكن الأمر كذلك فهو مردود عليك، ولذلك حكم أهل العلم أن الذين يتقربون إلى الله بأمور محدثة - يعني: ببدع- لا تقبل منهم عبادتهم؛ لـماذا؟

لأن الرسول - عليه الصلاة والسلام- قال: $**من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد**#. إذن في اتباع سنة الرسول - عليه الصلاة والسلام- وتقفيها أخذ بالدين كله.

والرسول - عليه الصلاة والسلام- علمنا كيف نتوضأ، وكيف نصلي، وعلمنا الآداب والأخلاق، وكان يعلمنا لما دخل المدينة قال: $**أفشوا السلام، وأطعموا الطعام، وصلوا والناس نيام، تدخلوا الجنة بسلام**#. ويعلمنا يقول: $**إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق**# علمنا الصيام، وعلمنا الزكاة، وعلمنا أمور الدين، فاتباعك لسنة الرسول أخذ بأمور الدين جميعها.

قال ابن عبد البر (ت٤٦٣هـ): "هذا حديث مدني صحيح، ويدخل في هذا المعنى الصلاح والخير كله والدين والفضل والمروءة والإحسان والعدل، فبذلك بعث ليتممهﷺ.

وقد قال العلماء: إن أجمع آية للبر والفضل ومكارم الأخلاق قوله T: ﴿**إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ**﴾ [النحل: ٩٠].

وروينا عن عائشة، ذكره ابن وهب وغيره أنها قالت: $مكارم الأخلاق: صدق الحديث، وصدق الناس، وإعطاء السائل، والمكافأة، وحفظ الأمانة، وصلة الرحم، و التذمم للصاحب، وقرى الضيف، والحياء رأسها#.

قالت: $وقد تكون مكارم الأخلاق في الرجل ولا تكون في ابنه وتكون في ابنه ولا تكون فيه وقد تكون في العبد ولا تكون في سيده يقسمها الله لمن

أحب#" اهـ. [التمهيد (٢٤/٣٣٤)].

قلت: وسنة الرسول هي الدين كما تقدم، وهي المبينة لما في القرآن العظيم، وقد كان خلقهﷺ القرآن كما قالت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها.

وقد قال ابن تيمية: "ولهذا قال الفقهاء: العبادات مبناها على التوقيف كما في الصحيحين عن عمر بن الخطاب أنه قبل الحجر الأسود وقال: $والله إني لأعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع، ولولا أني رأيت رسول الله ﷺ يقبلك لما قبلتك#. والله سبحانه أمرنا باتباع الرسول وطاعته وموالاته ومحبته، وأن يكون الله ورسوله أحب إلينا مما سواهما، وضمن لنا بطاعته ومحبته محبة الله وكرامته فقال تعالى: ﴿**قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ**﴾ [آل عمران:٣١]. وقال تعالى: ﴿**وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا**﴾ [النور:٥٤]. وقال تعالى: ﴿**وَمَن يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ**﴾ [النساء:١٣]. وأمثال ذلك في القرآن كثير.

ولا ينبغي لأحد أن يخرج في هذا عما مضت به السنة وجاءت به الشريعة ودل عليه الكتاب والسنة وكان عليه سلف الأمة، وما علمه قال به وما لم يعلمه أمسك عنه، ولا يقفو ما ليس له به علم، ولا يقول على الله ما لم يعلم فإن الله تعالى قد حرم ذلك كله"اهـ. [قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة (ص٢٧٠-٢٧١)].

الثمرة السابعة:

أن في اتباعك لها رفع لسمة الذل والهوان عن الأمة

وذلك لأن السنة هي الدين، وترك الدين سبب للذل والهوان.

أخرج أحمد في المسند وأبو داود في سننه عن ابن عمر قال: $سمعت رسول الله ﷺ يقول: **إذا تبايعتم بالعينة، وأخذتم أذناب البقر، ورضيتم بالزرع، وتركتم الجهاد، سلط الله عليكم ذلاًّ لا ينزعه حتى ترجعوا إلى دينكم**# والعودة إلى السنة عودة إلى الدين.

وفي حديث جبريل الطويل الذي هو أمُّ السنة بعد أن ذكر أركان الإيمان والإسلام والإحسان قال: $**هذا جبريل أتاكم يعلمكم أمور دينكم**#.

الرسول - عليه الصلاة والسلام- أخبر بأمر سيكون وأخبر بالنتيجة وذلك على سبيل الخلاص قال: $**إذا تبايعتم بالعينة**#.

والعينة: نوع من أنواع البيوع تباع فيها السلعة ويبقى عينها عند بائعها ويشتريها البائع ممن اشتراها منه، كأن يذهب إنسان إلى صاحب سيارات وهو محتاج فلوس فيقول لصاحب السيارات: بعني هذه السيارة بالتقسيط بعشرين ألف، فيبيعه بعشرين ألف، وصاحب السيارة عارف أنه ما يريد السيارة يريد الفلوس فيقول له: أنا اشتري منك هذه السيارة نقدًا بخمسة عشر ألفًا، فيصير في الحقيقة أنه أخذ خمسة عشر ألفًا حالة بعشرين ألف مؤجلة، ألم يحصل هذا؟

هذا هو بيع العينة، سمي عينة؛ لأن عين السلعة المبيعة لم تنتقل من حرز مالكها.

والرسول - عليه الصلاة والسلام- عنون ببيع العينة من باب الإشارة

إلى تفشي أنواع البيوع المحرمة؛ لأنه لا يوجد عندنا في المعاملات في البيع والشراء إلا بيع وربا، فعنوان البيوع المحرمة الربا ومنه بيع العينة.

قال: $**إذا تبايعتم بالعينة، واتبعتم أذناب البقر**# كانوا في السابق ولا يزال إلى الآن في بعض البلاد المحراث يجره بقر وثور، فيأتي المزارع يمشي خلف البقر ويمسك المحراث ويغرزه في الأرض حتى يقلبها، فالرسولﷺ عبر عن الركون إلى الدنيا والأرض باتباع أذناب البقر، يعني: تصيرون أهل زرع وأهل دنيا وأهل مال، فتجلسوا في الأرض وتتركوا الجهاد. قال: $**إذا تبايعتم بالعينة، واتبعتم أذناب البقر، وتركتم الجهاد**# تضمن ثلاثة أمور:

١- إذا تبايعتم بالعينة. قلنا: هذا عنوان البيوع المحرمة الربوية.

٢- واتبعتم أذناب البقر. معناه: الركون إلى الدنيا.

٣- وتركتم الجهاد.

ما هي نتيجة هذه الأمور إذا وجدت في مجتمع من المجتمعات: $**سلط الله عليكم ذلاً لا يرفعه عنكم حتى تعودوا إلى دينكم**#.

إذن اتباع السنة عودة إلى الدين، والعودة إلى الدين سبب في رفع الذل عنا.

إذن اتباع السنة سبب في رفع الذل عن أمة المسلمين.

أخذ سنة الرسولﷺ والسير عليها والتمشي بها والحرص والتمسك بما جاء عنهﷺ أنه سبب لرفع الذل عن المسلمين، وهذا ثمرة من ثمرات اتباع السنة أخبرنا بها الرسولﷺ في هذا الحديث.

في حديث جبريل الطويل ذكر الإيمان والإسلام والإحسان وقال: $**هذا جبريل أتاكم يعلمكم أمور دينكم**#؛ إذن الذل لا يرفع إلا بالعودة إلى الدين، والدين هو معرفة أركان الإيمان والإسلام والإحسان، أليس كذلك؟!.

فمن أراد أن يعود إلى الدين: فعليه أن يتعلم أحكام هذه المذكورات في حديث جبريل، فهل بعد هذا يُلام أهل الحديث أنهم يشتغلون بتعليم الناس أحكام الطهارة وأحكام الصوم وأحكام الزكاة وأحكام الإيمان والإيمان بالله وبالملائكة والكتب، ويتركون الكلام في الأشياء التي لا فائدة فيها؟!

يتحدث أهل الحديث في هذه الأمور يعلمون الناس الدين، هل يقال عنهم بعد ذلك: أنتم علماء حيض ونفاس، ولستم بعلماء واقع، ولستم بعلماء دعوة؟

العالم الذي يعلم الناس هذه الأمور، يعلم الناس الدين، يعلمهم السبيل الذي يخرجون به عن الذل والهوان، يعلمهم السبيل الذي أرشدهم الرسول ﷺ إليه. إذا أرادوا الخلاص والنجاة في الآخرة!

فمن ترك تعلم هذه الأمور وجعل كلامه كله عن العلمانية وعن الشيوعية وعن الدول الكبرى وعن كذا، وترك تعليم نفسه ما يحتاجه من أمر دينه، بله تعليم الناس هذه الأشياء، هل علم الدين؟ هل تحقق فيه الرجوع إلى الدين الذي أراده ﷺ في قوله: $**حتى ترجعوا إلى دينكم**#.

وفي حديث جبريل ذكر الإيمان وأركانه، والإسلام وأركانه، والإحسان وقال: $**هذا جبريل أتاكم يعلمكم أمور دينكم**#.

فهل نتعلم الدين بدون أن نتعلم كيف نصلي ؟!

هل نتعلم الدين من غير أن نتعلم الطهارة التي هي مفتاح الصلاة؟!

هل نتعلم الدين من غير أن نعلم نساءنا وبناتنا وحريمنا أحكام الحيض وأحكام النفاس وهي أمور تمر عليهم دائمًا؟

هل نكون تعلمنا الدين بغير ذلك؟

هل نتعلم الدين ونحن لا نعرف نعبد الله على الطريقة التي تقول: إن

صلاتي أنا كما صلاها الرسولﷺ، حجي أنا كما حج الرسولﷺ، صومي أنا كما صام الرسولﷺ؟

هل عرفنا الدين؟!

إذن من ثـمرات اتباع السنة ومن فضل اتباع السنة أن فيها رفع سمة الذل والهوان عن المسلمين .

سِرْ يا أخي على الجادة؛ اتبع سنة الرسول ﷺ، احرص على أن تقيم عبادة الله وتحققها ، وثق أنك إذا ما مشيت على هذا فصلحت نفسك وأصلحت أهلك وأسرتك وصلاح النفس صلاح الأسرة .

وصلاح الأسرة صلاح المجتمع .

وصلاح المجتمع صلاح المدينة .

وصلاح المدينة صلاح الدولة .

وصلاح الدولة صلاح الأمة .

وصلاح الأمة صلاح الكون جميعه بإذن الله ؛ فاحرص وأبدأ بنفسك ثم أدناك فأدناك.

الثمرة الثامنة:

أن فيها وصف الداء الذي اعترى الأمة الإسلامية ووصف الدواء

أخرج أحمد وأبو داود عن ثوبان قال: قال رسول الله ﷺ: $**يوشك الأمم أن تتداعى عليكم كما تداعى الأكلة على قصعتها**. فقال قائل: ومن قلة نحن يومئذٍ؟ قال: **بل أنتم يومئذٍ كثير، ولكنكم غثاء كغثاء السيل؛ ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة لكم وليقذفن الله في قلوبكم الوهن**. فقال قائل: يا رسول الله؛ وما الوهن؟ قال: **حب الدنيا وكراهية الموت**#.

الرسول ﷺ وصف داءنا وحالنا: $**يوشك أن تداعى عليكم الأمم كما تداعى الأكلة على قصعتها**#.

أما حصل هذا؟! والله حصل، تداعت دول الاستعمار على البلاد الإسلامية التي حباها الله ‌ بالخيرات، رزقها الله بالخيرات: أنهار وزراعة وبترول وأمور مختلفة، تداعوا عليها كما تداعى الأكلة على قصعتها!

$قالوا: أمن قلة نحن يا رسول الله؟# هل نحن قليل حتى تجيء دول وتتكاثر علينا؟!

$قال: **لا، بل كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل**#. فما السبب في ضعفنا؟

$قال: **ولينـزعن الله من صدورهم المهابة لكم وليقذفن الله في قلوبكم الوهن**، قالوا: يا رسول الله، ما الوهن؟ قال: **حب الدنيا وكراهية الموت**#.

إذن في السنة وصف الداء ووصف الدواء، تريد تعالج نفسك، تريد تمشي في طريقك، تريد تحقق الخير لك؛ احرص على اتباع السنة وعالج نفسك من أمر حب الدنيا وكراهية الموت، تنظر في السنة تجد فيها حديثًا يقول:

$**أكثروا من زيارة القبور فإنها تذكركم بالآخرة**#.

تنظر في السنة تجد فيها حديثًا يقول: $**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليصمت**#، تذكرك بالآخرة بالموت كلما قرأت واطلعت في السنة وطبقتها، يضعف في نفسك حب الدنيا وخوف الموت شيئًا فشيئًا!

تسمع في السنة عن الدنيا: $**الدنيا ملعونة ملعون ما فيها، إلا ذكر الله وما والاه أو عالم أو متعلم**#.

تقرأ في القرآن العظيم: ﴿**زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ ...**﴾ إلى آخره.

وتستمر في تعلم القرآن والسنة فتتوضح لك الحقائق وتتكشف لك الدنيا!

فتقوم وقد عرفت ما هي الدنيا! عرفت ما هي الأمور التي حولك! فسلمت من الوهن، وسلامتك من الوهن خروج لك من حالة الغثائية.

الثمرة التاسعة:

أن في سنته ﷺ تحصيل تمام الأخلاق وجميلها ومكارمها

أخرج أحمد عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: $**إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق**#[١].

قال ابن عبد البر (ت٤٦٣هـ): "هذا حديث مدني صحيح، ويدخل في هذا المعنى: الصلاح، والخير كله، والدين، والفضل، والمروءة، والإحسان، والعدل، فبذلك بعث ليتممه ﷺ.

وقد قال العلماء: إن أجمع آية للبر والفضل ومكارم الأخلاق قوله T:
﴿**إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ**﴾ [النحل: ٩٠].

وروينا عن عائشة، ذكره ابن وهب وغيره أنها قالت: $مكارم الأخلاق: صدق الحديث، وصدق الناس، وإعطاء السائل، والمكافأة، وحفظ الأمانة، وصلة الرحم، والتذمم للصاحب، وقرى الضيف، والحياء رأسها#.

قالت: $وقد تكون مكارم الأخلاق في الرجل ولا تكون في ابنه، وتكون في ابنه ولا تكون فيه، وقد تكون في العبد ولا تكون في سيده، يقسمها الله لمن أحب#. اهـ[٢].

قلت: وسنة الرسول هي الدين كما تقدم، وهي المبينة لما في القرآن العظيم، وقد كان خلقه ﷺ القرآن كما قالت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها.

---

(١) المسند - الرسالة (١٤/٥١٣).

(٢) التمهيد (٢٤/٣٣٤).

الثمرة العاشرة:

أن في لزوم السنة النجاة من الفتنة والعذاب الأليم

قال الله - تبارك وتعالى- : ﴿**لاَ تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ اللهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**﴾ [النور: ٦٣].

كل من خالف السنة! كل من خالف أمر الرسول! عليه أن يحذر: ﴿**فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**﴾ [النور: ٦٣]. تصيبهم فتنة فيدخل الكفر في قلوبهم، أو النفاق في قلوبهم، أو يدخلون في البدع فيلحقهم بذلك عذاب أليم!

فمن فضل اتباع سنة الرسول أنها تحفظك من الفتنة .

جاء رجل إلى الإمام مالك قال: يا إمام أريد العمرة! قال: اعتمر! قال: أريد أن أحرم لـها من المدينة من المسجد! قال: يا بني، اعتمر رسول الله ﷺ من ذي الحليفة، واعتمارك من المسجد خلاف السنة، وإني أخشى عليك الفتنة إذا أنت فعلت هذا، ثم تلا: ﴿**فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**﴾ [النور: ٦٣].

الثمرة الحادية عشرة: أن في اتباع السنة ولزومها تحقيق الإيمان وحصول السعادة في الدارين والسلامة من النيران

قال تعالى: ﴿**وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى**﴾ [طه: ١٢٤]. فمن اتبع سنة الرسول ﷺ ولزمها فإنه لم يعرض عن الدين ولا عن ذكر الله بل أقبل، فهذا لا يكون حاله كمن أعرض، وقد قال تعالى: ﴿**قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ**﴾ [آل عمران: ٣١]. وقال تعالى: ﴿**وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا**﴾ [النور: ٥٤]. وقال تعالى: ﴿**وَمَن يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ**﴾ [النساء: ١٣].

وبالمقابل جاءت آيات في حال من يعصي الله ورسوله، قال - تبارك وتعالى- : ﴿**وَمَن يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ**﴾ [النساء: ١٤].

بل نفى الإيمان عمن لم يحقق الاتباع له ﷺ، قال الله تعالى: ﴿**فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا**﴾ [النساء: ٦٥]. وقال - تبارك وتعالى- : ﴿**مَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلاَ مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلاَلاً مُّبِينًا**﴾ [الأحزاب: ٣٦]. وقال تعالى: ﴿**وَمَن يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا**﴾ [الجن: ٢٣].

إذن اتباع سنة الرسول - عليه الصلاة والسلام- تحقيق للإيمان: ﴿**فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ**﴾ [النساء: ٦٥]. ﴿**وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلاَ مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ**﴾ [الأحزاب: ٣٦].

الثمرة الثانية عشرة:

من ثمرات اتباع السنة أن في اتباعك للسنة وعملك بها إحياءً لها

وإحياؤك لها إظهارًا لها ودعوة للناس إليها، فمن عمل بالسنة، نتيجة عملك بها أن لك أجره، وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة.

أخرج مسلم في صحيحه عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: $**من دعا إلى هدى؛ كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئًا، ومن دعا إلى ضلالة كان له من الإثم مثل آثام من تبعه ولا ينقص ذلك من آثامهم شيئًا**#.

وأخرج مسلم أيضًا عن جرير بن عبد الله قال: $جاء ناس من الأعراب إلى رسول الله ﷺ عليهم الصوف فرأى سوء حالهم، قد أصابتهم حاجة، فحَثَّ الناس على الصدقة فابطئوا عنه، حتى رؤي ذلك في وجهه قال: ثم إن رجلاً من الأنصار جاء بُصرَّة من ورق ثم جاء آخر، ثم تتابعوا حتى عرف السرور في وجهه ﷺ فقال - عليه الصلاة والسلام- : **من سنَّ فِي الإسلام سنة حسنة فعمل بِها بعده كتب له مثل أجر من عمل بِها ولا يُنقص من أجورهم شيء، ومن سن فِي الإسلام سنة سيئة وعمل بِها بعده كتب له مثل وزر من عمل بِها لا ينقص من أوزارهم شيئًا**#.

إذن؛ من عمل بالسنة وأظهرها دعا الناس إليها بمجرد أنه أظهرها، فإذا عمل إنسان بهذه السنة كان لمن أظهرها أولاً أجر من عمل بها إلى يوم القيامة!

قد يقول قائل: يا شيخ، الرسول ﷺ قال: $**من سن سنة حسنة**# يعني: إنسان يعمل عمل ولو ما جاء في الشرع ولو ما جاء عن الرسول!

أقول لك: لا ، ليس هذا معنى الحديث ؛ لأن أهل العلم يقولون : إنما يعرف التحسين والتقبيح للأشياء من الشرع ، فمن أين لك أن هذا العمل حسن إذا لم يأت من الشرع؟ فمصدرنا أن هذا حسن أو قبيح هو الشرع ، يصير معنى الحديث : "من سن سنة حسنة " أي : من أحيا سنة من الشرع ، ولذلك الحديث ورد في الصدقة ؛ أن رجلاً جاء وقدم صدقة فجاء الناس بعده وتصدقوا.

دخل رجل المسجد ولقي فقيرًا فخرَّج من ماله شيئًا وأعطاه! فلما رآه الناس بادروا اقتداءً به إلى إعطاء هذا الفقير ومساعدته !

كل من عمل اقتداءً به يكون له أجر !

فهل الصدقة وإخراجها من السنة التي ثبتت عن الرسول ﷺ أم سنة محدثة ؟

إنَّها سنة ثابتة عنهﷺ.

فليس في الحديث أن الإنسان يعمل سنة من عند نفسه ؛ لأن حسن السنن إنما يعرف من الشرع وليكن على ذكر منكم قوله ﷺ: $**من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد**#.

قال ابن حبان - رحمه الله- : "إن في لزوم سنته ﷺ تمام السلامة وجماع الكرامة لا تُطْفَأ سرجها ، ولا تدحض حججها ، من لزمها عصم ، ومن خالفها يذم ؛ إذ هي الحصن الحصين ، والركن الركين ، الذي بان فضله ، ومتن حبله ، من تمسك به ساد ، ومن رام خلافه باد ، فالمتعلقون به أهل السعادة في الآجل و المغبوطون بين الأنام في العاجل". انتهى كلامه.

وبهذا تتم هذه المحاضرة ، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

وسبحانك اللهم وبحمدك ، أشهد أن لا إله إلا أنت ، أستغفرك وأتوب إليك.

وصلى الله على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد، وبارك على محمد وعلى آل محمد، كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد.